اجتهادات
المُتطوعُ والمُرتزقُ والبائس

جددت الحربُ فى أوكرانيا الاهتمام بظاهرة ذهاب أشخاصٍ للقتال فى حروبٍ أو معارك فى بلدان أخرى قريبة أو بعيدة. ويُميَّز دارسو هذه الظاهرة، والمهتمون بها، بين من يذهبون للقتال من أجل المال، سواء فرادى أو ضمن ميليشياتٍ أو منظماتٍ شبه عسكرية تؤجرُ مسلحين محترفين، ولا يعنيهم من يُقاتلون لمصلحته، أو آخرين يتطوعون لنصرة قضيةٍ يعتقدون أنها عادلةٌ، أو لمساندة طرفٍ تربطُهم به صلةٌ فكرية أو سياسية. وللوهلة الأولى، يبدو أن ثمة خطًا فاصلاً واضحًا بين المُتطوع والمُرتزق، وأن التمييز بينهما سهل. غير أن دراسة الظاهرة فى تجلياتها الحديثة التى تعودُ إلى أكثر من قرن، بخلاف أشكالها الأقدم، تُظهرُ تداخلاً يحدثُ أحيانًا بين حالتى التطوع والارتزاق. فقد حدث فى بعض الحروب ما أظهر اختلافًا عن الصورة النقية للتطوع، التى ترتبطُ عادةً بالحرب الأهلية-الإسبانية (1936-1939) عندما ذهب آلاف الشباب لمساندة الجمهوريين التقدميين فى مواجهة الفاشية المدعومة من نظامى موسولينى فى إيطاليا، وهتلر فى ألمانيا. كانوا متطوعين دفاعًا عن قضيةٍ آمنوا بها، وضموا مثقفين كبارًا مثل أرنست هيمنجواى، وجورج أورويل. غير أنه ليس كلُ المتطوعين فى مختلف الحروب من هذا النوع. يهدفُ التطوعُ أحيانًا إلى مساندة طرفٍ فى مقابل حصول المتطوع على دعمٍ سياسيٍ منه. يُحققُ المتطوعُ فى هذه الحالة مكسبًا، ولكنه سياسىٌ, وليس ماليًا. وقد يرتبطُ المكسبُ السياسىُ بربحٍ مالىٍ غير مباشر إذا كان التطوعُ لدعم طرفٍ يُزودُ المتطوعُ بالسلاح فى سياقٍ آخر دون مقابل. وقد يجتمعُ التطوعُ والارتزاقُ فى بعض الحالات، حين يذهبُ المتطوعُ لمساندة من تربطه به صلةٌ سياسيةٌ أو فكرية، ويحصلُ فى الوقت نفسه على مبلغٍ من المال إذا كان من يتطوعُ لأجله ثريًا. كما أصبح مهمًا التمييز بين مُرتزقٍ محترفٍ مُدربٍ عسكريًا يبحثُ عمن يحتاجُ خدماته، ومُرتزق بائسٍ لا يجدُ عملاً, ويجرب الذهاب للقتال

من أجل المال، ويكون مستعدًا بالتالى للمقامرة بحياته لأن احتمال قتله أكبر لحداثة عهده بالقتال وقلة خبرته فيه. الظاهرةُ، إذن، أكثر تعقيدًا من أن يمكنَ اختزالها فى تطوعٍ وارتزاقٍ يوجدُ خطٌ فاصلٌ بينهما.